بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها الإخوة الحضور السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

✍**أما بعد:**

ففي هذه الليلة المباركة يستضيف وقف السلام الخيري صاحب الفضيلة العلامة المحدث الشيخ أحمد بن يحيى النجمي ونود بناءً على طلب بعض الإخوة التعريف بفضيلة المحاضر.

فهو الشيخ العلامة المحدث، الشيخ أحمد بن يحيى النجمي، ولد الشيخ بقرية النجامية التابعة لمحافظة صامطة بمنطقة جازان في الثاني والعشرين من شهر شوال عام ست وأربعين وثلثمائة وألف، وقد قرأ القرآن في الكتاتيب الأهلية قبل مجيء شيخه عبد اللَّه بن محمد القرعاوي ثلاث مرات، والتحق بحلقة الشيخ عبد اللَّه القرعاوي في سنة ألف وثلثمائة وستين وقرأ عليه الرحبية والآجرومية وكتاب التوحيد وبلوغ المرام والبيقونية ونخبة الفكر وغيرها من الكتب وفي سنة ألف وثلثمائة وأربعة وستين أجازه الشيخ عبد اللَّه القرعاوي في رواية الأمهات الست بالأسانيد، ومن أبرز شيوخ الشيخ أحمد النجمي -وفقه اللَّه تعالى- بعد شيخه القرعاوي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي والشيخ محمد بن إبراهيم

مفتي الديار السعودية، والشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز -رحمهم اللَّه تعالى-، وللشيخ أحمد النجمي مؤلفات منها ما طبع ومنها ما لم يطبع فمن الكتب التي طبعت أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، وكتابه تأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام، وكتابه تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة ورسالة الإرشاد في بيان الحق في حكم الجهاد، ويقوم الشيخ بالإفتاء في جنوب المملكة منذ ما يقارب من ثلاثين عامًا وما زال الشيخ في عطائه وتعليمه بارك اللَّه في جهوده ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين، ومحاضرته في هذه الليلة -حفظه اللَّه تعالى- بعنوان: «منهج أئمة الدعوة في مسائل التوسل والاستغاثة» فليتفضل مشكورًا مأجورًا.

* * *

منهج أئمة الدعوة في مسائل التوسل والاستغاثة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له ومن يضلل اللَّه فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن خير الحديث كلام اللَّه وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار هكذا يقول النبي المصطفى ﷺ.

أيها الإخوة الكرام، إن التوسل لغة: هو التوصل، فمن تعذر عليه الوصول إلى الشيء بنفسه توصل إليه بشيء يوصله إليه ومن أوضح الأمثلة على ذلك أن الماء الذي في البئر لكون الإنسان لا يتوصل إليه بنفسه فهو يتوصل إليه بالحبل في الزمن القديم بإنزال الدلو في ذلك الحبل إلى قعر البئر وإخراج الماء، أما اليوم فقد أصبحت الوسيلة شيء آخر وهي المضخات الحديثة، هكذا أيضًا يضرب مثالًا أو أمثلة للوسيلة أن طالب العلم إذا أراد أن يطلب العلم الشرعي الذي هو علم الكتاب والسنة فلا بد له من أن يقرأ دروسًا في اللغة والنحو والصرف والبلاغة، وأصول الفقه ومصطلح الحديث، وهذه كلها وسائل لمعرفة الأحكام الشرعية واستخراجها من كتاب اللَّه ومن سنة رسوله ﷺ، ومن أراد أن يتكلم في الفقه في الدين بطريقة استنباط الأحكام فهذا لا يجوز له ولا ينبغي له

إلا بعد أن يأخذ حظًا من هذه العلوم التي تعتبر وسائل، وهكذا التوسل الذي أمر اللَّه ﷻ به في قوله -جلَّ وعلا- في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]. ابتغوا إليه الوسيلة: أي اعملوا بما أوجبه عليكم من الفرائض التي فرضها والواجبات التي أوجبها والسنن التي سنها والآداب التي أمر بأن تتبع على لسان رسوله ﷺ إذا قلنا أن معنى اتقوا الله: أي اتركوا ما نهاكم عنه، وابتغوا إليه الوسيلة: أي افعلوا ما أمركم به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وعلى هذا فإن الوسيلة إلى الوصول إلى الجنة، والجنة من وراء النار لا يصل إليها أحدٌ إلا بعد أن يجوز على النار، واللَّه ﷻ يقول:

﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. والاتقاء هنا شاملٌ للأوامر والنواهي ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ إذن فأنت يا عبد اللَّه بحاجة إلى ما يوصلك إلى الجنة أن تعمل بطاعة ربك ﷻ وتجتنب ما يوجب عليك مساخطه -جلَّ وعلا-.

ثم بعد هذا أيضًا من الوسيلة التي يتوصل بها إلى المقصود هو أن تدعو اللَّه ﷻ بعمل صالح قدمته كما فعل أصحاب الغار الذين كانوا يسيرون فجاء عليهم المطر فدخلوا غارًا ليستكنُّوا فيه من المطر فنزلت بإذن اللَّه صخرة من الجبل فسدت الغار عليهم، وعندئذٍ قالوا لا نجاة لكم إلا أن تدعوا اللَّه بصالح أعمالكم، فدعوا اللَّه بصالح أعمالهم فهذا دعا

اللَّه ﷻ ببره بوالديه وذاك دعا اللَّه ﷻ بأنه ثمر مال ذلك الأجير الذي أبقاه عنده ثمره حتى بلغ أنه اكتسب منه إبلًا وبقرًا وغنمًا ورعاتها وأنه جاء إليه بعد سنوات طويلة فطلب منه أجرته فقال ما أمامك من الإبل والبقر والغنم والرعاة كله من مالك، قال: أتهزأ بي، قال: لا ولكنه الحقيقة، فعند ذلك استاق ذلك بعد أن نماه ذلك الرجل وتعب فيه، فأعطاه كله بأسره، ولم يطلب منه تعبه عليه وهكذا الثالث الذي قال: اللهم إنه كانت لي ابنة عم وكنت أحبها كأكثر ما يحب الرجال النساء وأنها أصابتها ضائقة مالية فطلبت مني مالًا فأعطيتها مائة وعشرين دينارًا على أن تخلي بيني وبين نفسها، فلما جلست منها مجلس الرجل من امرأته قالت لي: يا هذا اتق اللَّه ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها وتركت المال لها، اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك وخوفًا منك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت عنهم الصخرة كلما دعا واحد منهم بدعوةٍ انفرج ثلثها وانفرجت جميعًا بدعوة الداعي الأخير[1]، هؤلاء توسلوا إلى اللَّه بصالح أعمالهم هكذا أيضًا يجوز لنا أن نتوسل إلى اللَّه ﷷ بصالح أعمالنا إذا نحن دعونا اللَّه ﷷ عند أي ضائقة وأي شيء يوجب ذلك فدعوناه بصالح أعمالنا أو ببعض صالح أعمالنا فإن اللَّه ﷻ يستجيب، هذا هو النوع الثاني من أنواع التوسل المباح.

النوع الثالث منه: أن نتوسل إلى اللَّه ﷷ ببعض صفاته أو ببعض

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أسمائه فندعوه بذلك ومن ذلك بعض الأدعية التي علمنا إياها الرسول ﷺ، منها قول: «**اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ فيَّ قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي**»[(١)]، وهكذا دعاء النبي ﷺ عندما ذهب إلى الطائف يعرض نفسه على أهلها فقالوا له قولًا سيئًا وأغروا به سفهاءهم أغروهم برميه بالحجارة فرموه حتى أدموا عقبيه فنزل ولما وصل إلى نخلة جلس قريبًا منها عند ذلك توضأ وصلى ودعا اللَّه ﷻ بقوله: «**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني أو إلى صديق ملَكتهُ أمري أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(٢)].

فعند ذلك أتاه جبريل، فقال: يا محمد إن هذا ملك الجبال، أرسله اللَّه إليك وأمره أن يطيعك في قومك فإن أمرته أن يطبق عليهم الأخشبين

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧٠٤، ٤٣٠٦) من حديث ابن مسعود ﷺ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٢) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/ ٣٧) من حديث عبد الله بن جعفر مرسلًا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٨٢).

فعل، فقال -صلوات اللَّه وسلامه عليه-: إني أرجو أن يخرج اللَّه من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئًا، وهكذا التوسل إلى اللَّه بصفاته، أو بأسمائه أيضًا هذا توسل جائز بل هو من أنجح المطالب، ومن أنجح الوسائل.

النوع الرابع: وهو مباح أيضًا وهو من التوسل المباح أن تطلب ممن تظن بأن دعاءه مستجاب عند اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فتطلب منه أن يدعو اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لك، بحاجتك التي تريد، كما كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ وكم حصلت من وقائع يأتون إلى النبي ﷺ يطلبون منه أن يدعو اللَّه لهم فيفرج اللَّه عنهم ومن ذلك دعاءه بالاستسقاء والحديث في الصحيحين[1] أن النبي ﷺ بينما هو يخطب يوم الجمعة، إذ دخل رجلٌ جاء من ناحية دار القضاء قال، فقال للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه هلكت الأموال والأنفس وانقطعت السبل وجاع العيال فادعُ اللَّه أن يسقينا فرفع النبي ﷺ يديه ودعا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، قال أنس: وما نرى في السماء قزعة، وليس بيننا وبين سَلْعٍ شيءٍ يحول بيننا وبينه، قال: فخرجت سحابة صغيرة فانتشرت في السماء وأمطرت والنبي ﷺ ما زال على المنبر، قال: فلقد رأيت المطر ينزل على رأس رسول اللَّه ﷺ، وكان المسجد عريشًا ويتقاطر على لحيته -صلوات اللَّه وسلامه عليه-، قال: فلم نر الشمس سبتًا، وفي الأسبوع الذي بعده عند ذلك دخل رجل من ذلك الباب، وقال: يا رسول اللَّه هلكت الأموال وانقطعت السبل فادعُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اللَّه أن يحبسها عنا أو كما قال: فدعا النبي ﷺ ربه، قال: فانجاب السحاب عن المدينة حتى صار عليها كالإكليل: يعني كالدائرة، فخرج الناس يمشون في الشمس.

هكذا أيضًا عندما كانوا في غزوة تبوك، وكان الجيش كثيرًا ثلاثون ألفًا، وكادت أزواد القوم تنتهي بل انتهت إلا الشيء القليل، فجاء بعضهم إلى النبي ﷺ فاستأذنه أن ينحر راحلته فأذن له، وجاء آخر فأذن له فجاء عمر إلى النبي ﷺ فقال يا رسول اللَّه إنك إن أذنت لهم في نحر رواحلهم قلَّ الظهر ولكن أرى أن تأمرهم بأن يجمعوا ما بقي عندهم من الأزواد ويضعوه على بساط فتدعو اللَّه عز وجل فيه فيبارك اللَّه فيه ويأخذون منه وعند ذلك أمرهم النبي ﷺ فبسطوا الأنطاع أو الأشياء من الأدم وجاءوا ببقايا أزوادهم وكان هذا يأتي بكف من الحب وهذا يأتي بشيء من الخبز وهذا يأتي بكذا وهذا يأتي بكذا، فاجتمع شيء في ذلك البساط فدعا النبي ﷺ ربه أن يبارك فيه وجاءوا واغترفوا من ذلك حتى ملئوا جميع الآنية وهو كما كان[1]، فهكذا كان النبي ﷺ يعني يجيبهم إذا طلبوا منه الدعاء فيدعو لهم.

ومن ذلك: قول النبي ﷺ: «**إذا جاءكم وفود اليمن فإنه سيأتي فيهم رجلٌ يقال له أويس القرني مجاب الدعوة كان به بياض قال فدعا اللَّه أن يذهبه عنه، فأذهبه عنه وبقي قدر الدرهم في كَشْحِهِ، وإذا جاء هذا الرجل فاطلبوا منه أن يستغفر لكم فإنه مجاب الدعوة**»[2]، وهكذا وقائع كثيرة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧) من حديث أبي سعيد أو أبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

طلب من النبي ﷺ فيها الدعاء ودعا فيها -صلوات اللَّه وسلامه عليه-، هذا هو القسم الرابع من التوسل المباح.

بقي القسم الخامس: وهو التوسل المحرم وهذا لم يكن معروفًا عند أصحاب النبي ﷺ وعند سلف الأمة ولكن ابتدعه بعض المتأخرين واستدلوا عليه بأحاديث منها ما هو صحيح والاستدلال به غير صحيح، ومنها ما هو ضعيف أو موضوع أو ما أشبه ذلك وسأقرأ عليكم بعضها أي ما تيسر.

قلنا: وبالجملة فإن النوع المحرم من التوسل لم يكن معروفًا ولا معمولًا به عند السلف بل يعتبرونه من الشرك الأكبر المخرج من الملة حتى ظهر أقوام من المتأخرين وزعموا أنه جائز واستدلوا على ذلك بأدلة منها ما هو صحيح والاستدلال به باطل كحديث أنس بتوسل عمر رضي الله عنه بدعاء العباس ومنها ما هو ضعيف أو موضوع وبيان الكلام على الأحاديث التالية:

الحديث الأول: عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا، فيسقون رواه البخاري[1].

وقد حاول القائلون بالتوسل البدعي وهو التوسل بالذوات حاولوا

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠).

قلب الحقائق بادعائهم أن هذا الحديث حجة لهم، وهو في الحقيقة حجة عليهم فقال الشيخ منصور بن علي ناصف في تعليقه على هذا الحديث في كتابه «التاج الجامع للأصول» وبعد أن أضاف إليه أحاديث في شرحه فهذه النصوص تفيد أن التوسل إلى اللَّه بالصالحين جائز، بل هو مطلوب في الشدائد، والشاهد في التقرب إلى الملوك بمن يحبونه يؤيد ذلك، قلت: كلا ليس في قصة استسقاء عمر بدعاء العباس دليل على جواز التوسل بالذوات بل هو دليل على منعه وعدم مشروعيته، إذ لو كان التوسل بالذوات مباحًا لما عدل عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ إلى العباس مع علم عمر رضي الله عنه بأن جاه رسول اللَّه ﷺ في حياته وبعد موته عند اللَّه سواء، ولكن عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بجاه النبي ﷺ الذي لا يشك مسلم أنه أفضل جاهٍ عند اللَّه عز وجل إلى دعاء العباس الذي هو مفضول حتى بالنسبة لعمر، يدل دلالة واضحة أن التوسل بالجاه ممنوع، وأن التوسل بدعاء الحي مشروع حتى ولو كان المتوسل فاضلًا والمتوسل بدعائه مفضولًا بل لو قال أحدٌ إنه إجماع من الصحابة لما أبعد لأن هذا وقع في عام الرمادة سنة ثمانية عشر من الهجرة والصحابة كلهم متوافرون فلو ترك عمر سنة لردوا عليه ذلك، كيف لا وقد ردت عليه امرأة وهو على المنبر فما أنف ولا تكبر بل نزل وهو يقول أصابت امرأة وأخطأ رجل أو أخطأ عمر.

ومما يزيد الأمر وضوحًا أنه فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي هو أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمر النبي ﷺ بمتابعة سنتهم والتأسي بأفعالهم.

ثانيًا: **أما قوله**: وفي ذلك دليل على أن التوسل إلى اللَّه بالصالحين جائز.

فأقول: هذه مجازفة ظاهرة يسأله اللَّه عنها، فأين دليل الجواز من كتاب اللَّه أو من سنة رسوله ﷺ؟ وما هي الجملة التي تدل على ذلك من قصة استسقاء عمر بدعاء العباس؟ وأما قول أنس أن عمر كان إذا قُحطوا يستسقي بالعباس، فإن معناه استسقى بدعاء العباس وليس معناه استسقى بذاته، فهو توسل بدعائه وليس توسلًا بذاته، إذ لو كان التوسل بالذوات جائزًا، لما عدل عن ذات النبي ﷺ التي هي أفضل الذوات على الإطلاق، ولو كان بالجاه لما عدل عن جاه النبي ﷺ الذي هو أفضل جاهٍ عند اللَّه، إذ بشفاعته يفصل اللَّه بين عباده وبشفاعته يفتح لهم باب الجنة.

ثالثًا: أن الجواز حكم شرعي لا يحل لأحد أن يحكم به حتى يعلم دليله، بل وحتى يعلم صحة دليله والقاعدة الشرعية التي منها أخذ الحكم وعليها أسس.

رابعًا: قياسه للتوسل إلى اللَّه بذوات الصالحين على التقرب إلى الملوك بمن يحبونه قياس باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن قياس أحكام الدين على أمور الدنيا أو بالأحرى على واقع الناس في حياتهم العملية يدل على جهل من تفوه به أو اعتقده. فما هي القاعدة الأصولية التي بنى عليها هذا القياس؟ وأين الدليل الذي أخذت منه القاعدة؟ ومن هو الذي سبقه إلى هذا القياس من السلف؟

ثانيًا: أن الملوك عاجزون عن إدراك ما وراء جدرهم، فهم في حاجة

إلى الوسائط الذين يبلغونهم ما خفي عليهم وما يجهلونه .

أما اللَّه -جلَّ شأنه وعزَّ سلطانه وتعالى جده وتنزهت عظمته- فليس في حاجة إلى أحد من خلقه أن يكون له معينًا ، أو ظهيرًا أو وزيرًا أو مشيرًا ، لأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما توسوس به نفس كل عبد ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، وقد قال لنبيه ﷺ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

ثالثًا : أن الملوك في حاجة إلى أشياعهم وأنصارهم وقراباتهم وأعوانهم لأنهم بحاجة إلى نصرهم ، فهم يحرصون على استبقاء ودهم بقبول وساطاتهم لينتفع بعضهم من بعض ، أما اللَّه -جلَّ شأنه- فهو غنيٌّ عن خلقه ، وهم بأسرهم فقراء إليه صلحاؤهم وفجارهم كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر : ١٥-١٧] . فإن قبل دعاء بعض الصالحين في الدنيا أو شفاعتهم في الآخرة ، فإنما ذلك من باب الإنعام والإكرام ، ولهذا يقول النبي الكريم ﷺ الذي هو أفضل الخلق عند اللَّه جاهًا وأقربهم إليه وسيلة لعمه وعمته وابنته : « **اشتروا أنفسكم من اللَّه لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا** »[1] ويقول : « **استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي** »[2] ، وبهذا يعلم بطلان قوله هذا وفساده .

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧١) ، ومسلم (٢٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

رابعًا: أن من قاس اللَّه بخلقه فقد تنقصه وشبهه بهم، لذلك فهو جدير بأن يحبس ويضرب ويستتاب، لأنه لم يؤمن بهيمنة اللَّه على عباده وعلمه الشامل وقدرته النافذة، وقد سبق في الرد المختصر أن رسول اللَّه ﷺ قال للأعرابي الذي قال: فإنا نستشفع بك على اللَّه ونستشفع باللَّه عليك، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ويحك**» وسبح رسول اللَّه، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابة ثم قال: « **ويحك إنه لا يستشفع باللَّه على أحد من خلقه، شأن اللَّه أعظم من ذلك، أتدري ما الله؟ إن عرشه على سمواته هكذا** - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - **وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب**»[1]، وبهذا يعلم أن قياس اللَّه بخلقه تنقص له وجهل من قائله بعظمة اللَّه -جلَّ وعلا-.

خامسًا: وإجماع المهاجرين والأنصار مع عمر -رضوان اللَّه عليهم أجمعين- على العدول عن التوسل بذات الرسول ﷺ إلى التوسل بدعاء العباس وهو إجماع منهم على عدم مشروعية التوسل بالذوات وتحريمه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «التوسل والوسيلة» ص٦٤: ودعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا» يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه ﷺ وشفاعته لا التوسل بذاته إذ لو كان هذا مشروعًا لم يعدل عمر والمهاجرون

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٦٣٩).

والأنصار عن السؤال برسول اللَّه ﷺ إلى السؤال بالعباس وقال أيضًا في ص٤٩-٥٠: فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بعد موته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له وإنه مشروع دائمًا فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معانٍ:

أحدها: التوسل بطاعته وهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة حين يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على اللَّه بذاته والتوسل بذاته فهذا لم يكن الصحابة يفعلونه لا في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في الأدعية وإنما ينقل شيء من هذا في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قوله حجة، كما سنذكر ذلك إن شاء اللَّه تعالى.

وهذا هو الذي قال أبو حنيفة أنه لا يجوز ونهوا عنه حيث قالوا: لا يُسأل بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك، قال أبو بكر الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة وقد ذكر هنا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة رحمهم اللَّه تعالى، قال بشر ابن الوليد: حدثنا أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو اللَّه إلا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك وهو قول أبو يوسف، قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشه هو اللَّه فلا أكره هذا وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك

وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام، قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقًا. اهـ.

الحديث الثاني الذي استدلوا به: حديث الأعمى الذي رواه الترمذي والحاكم، عن عثمان بن حنيف، ولفظه: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه فيَّ(١).

قال الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ألف ومائتين وتسعين: صحيح، ثم قال: قلت: وزاد أحمد وابن خزيمة والحاكم وشفعني فيه، وهي من الأدلة الكثيرة على أن التوسل والتوجه المذكور في الحديث إنما هو بدعائه ﷺ لأن معناها: اقبل شفاعتي في دعائه وكذلك قوله: فشفعه فيَّ أي اقبل شفاعته أي دعاءه فيَّ، وهذه الزيادة من الكنوز، من عرفها استطاع بها أن يطيح بشبهات المخالفين. . اهـ.

الحديث هذا الذي هو حديث الأعمى الصحيح فيه أنه توسل بدعاء النبي ﷺ وأن النبي ﷺ قال للأعمى: توضأ وصل ركعتين واسأل اللَّه ﷻ يعني بكذا وقل اللهم شفعه فيَّ يعني هذا استعان به النبي ﷺ لأن طلبه فيه شيء من الصعوبة وقدرة اللَّه لا يستصعب عليها شيء ومثل ذلك قول النبي ﷺ لذلك الرجل الذي كان يأتيه بوضوئه عندما يبيت في الليل وتلك

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٧٩).

الليلة قال له النبي ﷺ: «**سلني**»، قال: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «**أو غير ذلك**»، قال: هو ذاك، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(١)؛ يعني: على مطلب نفسك بكثرة السجود، كثرة الصلاة، وكثرة السجود فإن هذا يعني مما يعين على طلبك.

هذا الحديث اختلف في صحته، فمنهم من صححه كشيخ الإسلام ابن تيمية والألباني ومنهم من ضعفه، وهو السهسواني صاحب صيانة الإنسان، وهذا الحديث على فرض صحته فالمراد به الدعاء، يعني توسل بدعاء النبي ﷺ، وليس توسلٌ بجاهه.

الحديث الثالث: حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج بطرًا ولا أشرًا، ولا رياءً ولا سمعة..(٢) الحديث أخرجه ابن ماجة بسند فيه ثلاثة ضعفاء، قال محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على ابن ماجه في الزوائد: هذا إسناد مسلسل بالضعفاء، عطية وهو العوفي وفضيل بن مرزوق والفضل بن الموفق هؤلاء كلهم ضعفاء، لكن عطية ضعيف شديد الضعف ولهذا فإن القدح فيه بأمور من أشدها اثنان:

الأول: أنه يقدم علي بن أبي طالب على الخلفاء الثلاثة فيرى أنه أحق

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٧٨)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٤).

بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة، بل هذه عقيدة أهل التشيع وأهل الرفض.

الثاني: أنه مدلس تدليسًا سيئًا، وهو أنه كان يجالس أبا سعيد الخدري فلما توفي أبو سعيد الخدري عند ذلك كان يجالس الكلبي وأمثاله وبعد ذلك كني الكلبي بأبي سعيد، وقال له أنا كنيتك بأبي سعيد فأنا أحدث عنك وأقول حدثني أبو سعيد، معنى ذلك أنه يريد الكلبي والناس يظنون أنه يقصد أبا سعيد الخدري وهذا تدليس قادح فيمن يفعله، وهكذا، فالمهم أن الحديث ضعيف جدًّا.

الحديث الرابع: حديث أنس بن مالك الذي رواه الطبراني في الأوسط، قال: لما توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب وذكر الحديث وفيه: اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء من قبلي فإنك أرحم الراحمين[١]. وفي سنده روح بن صلاح المصري الذي يقال له ابن سباية وثَّقه ابن حبان والحاكم وهما من المعروفين بالتساهل وضعفه ابن عدي وقال في صيانة الإنسان: فقد عُلِمَ أن فيه روح بن صلاح المصري وهو ضعيف ضعفه ابن عدي، وهو داخل في القسم المعتدل من أقسام من تكلم في الرجال كما في فتح المغيث للسخاوي. اهـ وعلى هذا فالحديث لا يصح وليس لهم فيه حجة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد (٩/ ٤١٤)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٣).

الحديث الخامس: حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا وموقوفًا عليه بلفظ: «أنه لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، قال: وكيف عرفت محمدًا، قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا اللَّه محمدًا رسول اللَّه، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، قال: صدقت يا آدم، ولولا محمد ما خلقتك»[(١)] رواه الحاكم في مستدركه وقال: وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن في هذا الكتاب، وقال الحاكم هو صحيح، قال شيخ الإسلام في القاعدة الجليلة، قلت: ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه، قلت: وعبد الرحمن ضعيف باتفاقهم، يغلط كثيرًا اهـ. ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وقال أبو حاتم: ابن حبان كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوفات فاستحق الترك فترك. اهـ. ومن هنا نعلم أن هذا الحديث أيضًا لا حجة لهم فيه. اهـ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٢)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٥): موضوع.

الحديث السادس: من هذا الباب، حديث موسى بن عبد الرحمن الصنعاني صاحب التفسير بإسناده عن ابن عباس مرفوعًا أنه قال: « من سره أن يوعيه اللَّه حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر وليشربه على الريق وليصم ثلاثة أيام وليكن عند إفطاره عليه ويدعو به في أدبار صلواته: اللهم إني أسألك بأنك أنت مسئول لم يُسأل مثلك ولا يُسأل أسألك بحق محمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى روحك وكلمتك ووجيهك. . . » إلى آخر الدعاء[١] قال: موسى بن عبد الرحمن هذا من الكذابين، قال أبو أحمد بن عدي فيه: منكر الحديث، قال أبو حاتم ابن حبان: دجال يضع الحديث، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاب في التفسير جمعه من كلام الكلبي، ومقاتل، وقال: ويروى نحو هذا عن ابن مسعود دون الصوم. والحديث غير صحيح بل هو ضعيف. اهـ.

أقول: هذه الأحاديث هي التي استدل بها من يرون جواز التوسل بالذوات ؛ وهي ضعيفة كما سمعتم، ومنها ما هو صحيح والاستدلال به غير صحيح، ومنها ما هو ضعيف بمرة أو موضوع أو ما أشبه ذلك، لذلك فإن أئمة الدعوة كلهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية وابن القيم كلهم يقولون أن التوسل إلى اللَّه ﷻ بحق المخلوقين أو جاه المخلوقين أو ما أشبه ذلك كله هذا كله لا يصح فيه نص، ولا يجوز فعله، وعلى هذا

---

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٣٣٤)، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ١٧٤).

اجتمعت كلمة أهل العلم ممن سميناهم ومن لم نسم، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأبناؤه عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب، وسليمان ابن عبد اللَّه وغيرهم، كلهم متفقون على أن التوسل بالذوات وبالحق وبالجاه كل ذلك لا يجوز فلا يجوز لأحدٍ أن يتوسل إلى اللَّه بالمخلوقين.

قال عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله-: وأما التوسل بالذوات وهو أن يقول القائل: اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو بحق نبيك محمد أو بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من البدع المذمومة ولم يرد في ذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ عند الأذان ومما ورد أيضًا في الدرر السنية، قال الشيخ سليمان بن الشيخ عبد اللَّه ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله-: «من سليمان ابن عبد اللَّه ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ عبد اللَّه بن أحمد سلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته وبعد، وصل الخط -وصلك اللَّه إلى رضوانه- وما سألت عنه هل يجوز التوسل بجاه النبي أو غيره من الأنبياء والمرسلين والصالحين في الدعاء، والجواب أن التوسل المشروع الذي جاء به الكتاب والسنة هو التوسل إلى اللَّه تعالى بالأعمال الصالحة والأسماء والصفات اللائقة بجلال رب البريات كقوله حاكيًا عن عباده المؤمنين أنهم توسلوا إلى اللَّه بصالح أعمالهم فقالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. ثم ذكر قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار وانطبقت عليهم الصخرة وتوسلوا إلى اللَّه بصالح أعمالهم فانفرجت وبحديث أسألك بكل اسم هو لك سميت به

نفسك أو أنزلته في كتابك . . الحديث . إلى أن قال : وهو من الوسيلة التي أمر اللَّه بها في قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. وكذلك التوسل إلى اللَّه بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته وبدعاء غيره من الأنبياء والصالحين في حياتهم وهذا كله مستحب كما توسل الصحابة بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته وبدعاء غيره من الأنبياء والصالحين في حياتهم وهذا كله مستحب كما توسل الصحابة بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته وتوسلوا بدعاء العباس ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ يعني بعد موته ، كذلك توسل معاوية بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي وأما التوسل بجاه المخلوقين ، كمن يقول اللهم إني أسألك بنبيك محمد وأسألك بجاه نبيك محمد ﷺ ونحو ذلك بعد موته ، فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ وأكثر العلماء على النهي عنه ، وحكى ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه بدعة إجماعًا ولو كان الأنبياء والصالحون لهم جاه عند اللَّه سُبۡحَانَهُۥ فذلك لا يقتضي جواز التوسل بذواتهم وجاههم لأن الذين لهم من الجاه والدرجات أمر يعود نفعه إليهم ولا ننتفع من ذلك بشيء إلا باتباعنا لهم ومحبتنا لهم وفي الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارد للشيخ سليمان بن سحمان تحقيق عبد السلام بن برجس حكى عن شيخ الإسلام بن تيمية أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه إجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم به مقصود الصحابة يراد به التسبب به يكون بكونه داعيًا وشافعًا مثلًا أو لكون الداعي محبًّا له مطيعًا لأمره مقتديًا به فيكون التسبب إما بمحبة السائل له واتباعه له وإما بدعاء الوسيلة

وهو شفاعته ويراد به الإقسام به على اللَّه فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام طويل في هذا .

كذلك الجواب على سؤال رقم أربعمائة وسبعة عشر التوسل إلى اللَّه بأحدٍ من خلقه وسُئلت اللجنة سؤالًا مماثلًا وكان المجيب فيها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ والشيخ عبد الرزاق عفيفي نائبًا عن الرئيس وابن قعود وابن غديان وكانت الإجابة هكذا ، التوسل بذوات المخلوقين أو جاههم أو حقهم سواء كانوا أنبياء أو صالحين فيه خلاف بين أهل العلم والذي عليه جمهور أهل العلم ، عدم الجواز وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله- .

قال: الرابع: أن يسأل العبد ربه حاجته مقسمًا بوليه أو نبيه أو بحق نبيه أو أوليائه .

بقي معنا شيء من ذلك نريد أن نتوصل إليه: وهو أنه ما روي عن الإمام أحمد بجواز الحلف بالنبي ﷺ أن هذا خلاف الصحيح وأن هذا القول قول ضعيف ولا يصح عنه .

قال: وسُئلت اللجنة في الفتوى رقم تسعة آلاف وتسع وأربعين في السؤال الأول ما قولكم في قول الإمام ابن تيمية وشيخ الإسلام في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، لم يتنازع العلماء إلا في الحلف بالنبي ﷺ خاصة ، فإن فيه قولين في مذهب أحمد وقد نقل عن أحمد في التوسل بالنبي ﷺ في منسك المروذي ما يناسب قوله بانعقاد اليمين به لكن الصحيح أنه لا ينعقد اليمين به وكذلك هذا ، وقوله أيضًا في مجموع

الفتاوى وأما إذا لم نتوسل إليه سبحانه بدعائهم ولا بأعمالنا ولكن توسلنا بنفس ذواتهم لم تكن نفس ذواتهم سببًا يقتضي إجابة دعائنا وكنا متوسلين بغير وسيلة، ولهذا لم يكن هذا منقولًا عن النبي ﷺ نقلًا صحيحًا ولا مشهورًا عن السلف وقد نقل في منسك المروذي عن دعاء فيه سؤال النبي ﷺ، وأجابت اللجنة عن هذا السؤال بقولها: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الفقهاء في الموضوع في كتابيه المذكورين لا يختلف معناه، وإن تنوعت العبارة وبيانه أن أئمة الفقهاء كمالك وأبي حنيفة والشافعي -رحمهم اللَّه-، قالوا: إن الحلف بغير اللَّه مطلقًا منهي عنه سواء كان المحلوف به نبيًّا أو غيره ولا ينعقد ذلك يمينًا وهو القول الصحيح عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واختار ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: إنه هو الصواب والقول الآخر عنه وهو الحلف بنبينا محمد ﷺ يجوز وينعقد يمينًا وبعض الحنابلة عمم ذلك في الأنبياء وينبني على القول بجواز ذلك انعقاده بجواز الإقسام على اللَّه بالنبي أو بالأولياء وعليه يخرج حديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ وانعقاده قولٌ ضعيف شاذ، وكذا ما بني عليه من جواز الإقسام على اللَّه به وما يناسبه من التوسل به، كذلك وما قاله شيخ الإسلام هو الصواب وهو قول جمهور أهل العلم وهو مقتضى الأدلة الشرعية وباللَّه التوفيق.

بقي علينا مسألة الاستغاثة، الاستغاثة: هي دعاء المكروب، هذا يقال له استغاثة، وهي تنقسم إلى قسمين، استغاثة مباحة وهي أن تستغيث بالحي الحاضر فيما يقدر عليه فهذه مباحة، ومن ذلك قول اللَّه ﷻ:

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: من الآية ١٥].

أما الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه كإنزال المطر أو شفاء المرض أو رفع العاهة أو ما أشبه ذلك من الأمور، فهذا لا يجوز أبدًا بل من فعل ذلك فهو مشركٌ شركًا أكبر.

فاللَّه ﷻ يقول: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]. المهم أن الصحابة استغاثوا باللَّه ﷻ وأن الواجب علينا أن نستغيث باللَّه ﷻ أما استغاثة المخلوق بمخلوق آخر سواء كان نبيًّا أو وليًّا أو ملكًا أو صالحًا أو شهيدًا أو صديقًا أو غير ذلك فهذا كله لا يجوز أبدًا ومن استغاث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ فإنَّه قد أشرك باللَّه شركًا؛ سواء كان المستغاث به حيًّا حاضرًا أو ميتًا أو غائبًا أو ما أشبه ذلك كل ذلك لا يجوز فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، فلو قلت لإنسان: يا فلان اشفِ مريضي أستجير بك، وأستغيث بك أن ترد ضالتي أن ترفع العاهة عن زرعنا أو ما أشبه ذلك فإن هذا كله محرم وهو شرك أكبر مخرج من الملة واللَّه ﷻ يقول لنبيه ﷺ وأفضل الخلق عنده وأعظمهم عنده جاهًا يقول ﷻ له: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦]. ويقول: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على تحريم الشرك وأنه محبط للعمل وأنه مخرج من الملة وأنه موجب للخلود في النار كما قال

اللَّه ﷻ عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]. والحق واضح يا إخوة، وأهل البدع ليس معهم إلا ظنون واهية لا تستند إلى حق والحق بيِّن مع أهل الحق وأهل الحق يتداولونه في كل زمان ومكان أسأل اللَّه أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا إتباعه وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه وألا يجعله ملتبسًا علينا فنضل، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



الأسئلة

س١ : يقول السائل: أحسن اللَّه إليكم ما هي الكتب المؤلفة في مسألة التوسل سواءً للمتقدمين أو المتأخرين؟

ج١ : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللَّه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن الكلام عن التوسل في كتب المشايخ، مشايخ الدعوة في العصر الحديث، الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته وأبنائه وأحفاده وممن كتب في هذا فيما عرفنا أناس قليل منهم الشيخ الألباني -رحمه اللَّه تعالى- الذي خدم السنة أكثر من سبعين عامًا وهو جالس على تصفية السنة وبيانها بيان الصحيح من الضعيف وإن كان قد يحصل في اجتهاده شيء من الخطأ قد يكون أنه يرجح الصحة والضعف هو الراجح أو العكس ولكنه -رحمه اللَّه تعالى- حبس نفسه زمنًا طويلًا على تنقية السنة من الضعيف والموضوع فله منا الثناء والدعاء ويجب أن نثني عليه -رحمه اللَّه تعالى- بعمله هذا وكلكم يعرف كتب الألباني تملأ رفوف المكتبات، صحيح الجامع وضعيفه وسلسلة الأحاديث الصحيحة وضعيفها والسنن الأربع بما فيها من صحيح وضعيف وغيرها من الكتب التي تتبعها وبين الصحيح والضعيف فيها، أما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد ابن عبد الوهاب وكتبه وكتب أنجاله وتلامذته ومراسلاتهم التي بينوا فيها التوحيد فهي مشتملة على بيان التوسل الصحيح والتوسل الممنوع ومن شاء

فليطلب ذلك من كتبهم -رحمهم اللَّه تعالى- .

س٢ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل : ما معنى وحدة الوجود؟

ج٢ : معنى وحدة الوجود هو أن جماعة أو بالأحرى غلاة الصوفية توصلوا في اعتقادهم إلى أن كل ما نراه أو نلمسه أو نسمعه أو نحسه كلها هي اللَّه ، وهذا والعياذ باللَّه كفر من أعظم الكفر ، بل قد يكاد يقول الإنسان أن الجاحد لوجود اللَّه ربما أنه خير ممن جعله في مواضع الأنجاس والأرجاس وشبهه بالمنكوح -والعياذ بالله- ، ونسأل اللَّه العفو والعافية ، المهم أن وحدة الوجود معناها أن هذه الأسطوانات في المسجد معناها هي اللَّه ، الشجر الجبال الدواب الأنعام الكلاب كل ما نراه ونسمعه هو اللَّه ، وهذا قال به كثير من المتأثرين بالصوفية ومنهم الذين يزعم أصحاب الحزبيات أنهم أئمة كسيد قطب حين فسر ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ بتفسير أصحاب وحدة الوجود وكحسن البنا حينما يقول :

اللَّه قل وذر الوجود وما حوى
إن كنت مرتادًا بلوغ كمال
فجميع ما في الكون إنَّ حقفته
عدم على التفصيل والإجمال

فأي مصيبة أعظم من هذه المصيبة ، أن يتخذ مثل هذا إمامًا يقتدى به ويتبع وتترك سنة رسول اللَّه ﷺ من أجل أقواله .

س٣: أثابكم الله: يقول السائل: أرجو أن تذكروا لنا شيئًا من سيرة شيخكم عبد اللَّه القرعاوي وكيفية تدريسه وتربيته لطلابه؟

ج٣: شيخنا عبد اللَّه بن محمد القرعاوي ولد كما ذكر لنا غير مرة في عام ألف وثلثمائة وخمسة عشر وتوفي أبوه وهو حمل؛ أي: وأمه حامل به قبل ولادته، توفي جده أصيب بالفالج ثم توفي بعده أبوه، نشأ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو وأخت له يتيمين ولهما أم صالحة ربتهما وله أعمام ونشأ وكان يتجر مع أعمامه وكانوا يتجرون في الإبل من جزيرة العرب يأخذون الإبل ويذهبون بها إلى الشام إلى بيت المقدس وإلى ديار بكر وإلى تلك البقاع يبيعونها هناك ويستعيضون بشيء من البضائع التي تكون نافعة لهم هنا: يعني في نجد عاش على هذا إلى أن بلغ الثلاثين من عمره أو زيادة قليلة ثم أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألهمه أن يطلب العلم فترك التجارة وجلس يطلب العلم على المشايخ الموجودين هنا أي في المملكة منهم الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي السابق رَحِمَهُ اللَّهُ ومنهم الشيخ محمد بن مانع ومنهم سليمان بن بشر ومنهم عمر بن سليم وأخوه محمد بن سليم هؤلاء تتلمذ عليهم وذهب إلى مصر يريد أن يدرس فوصل الأزهر ولم تعجبه دراستهم إذ إنهم أشعرية والأضرحة تعبد أمامهم ولا ينكرون ذلك فتركهم وذهب ومر إلى بلاد فلسطين ورجع إلى دمشق وجلس فيها أربعة أشهر ثم رجع إلى بلده وتأهب وذهب إلى بلاد الهند ودرس فيها في المدرسة الرحمانية ورجع عند وفاة أمه ثم رجع المرة الأخرى وجلس أكثر من ذلك وقرأ الأمهات الست وأخذ الإجازة وعاد بعد ذلك في سبعة وخمسين وإجازته مؤرخة في

اليوم الثالث عشر من رجب عام ألف وثلثمائة وسبعة وخمسين، عاد بعد ذلك ولم يصل إلى أهله بل جاء إلى مكة وجلس في مكتبة الحرم حوالي سبعة أشهر وكان يقرأ في الكتب التي في مكتبة الحرم، قرأ كتبًا كثيرة، قال: قرأت كتبًا كثيرة في خلال هذه المدة فما رأيت أكثر تأثيرًا من كتابين مؤثرين ولهما وقع في نفس المطالع وهو كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب، وكتاب الدين الخالص لصديق حسن خان، بعد ذلك كان رأيه أن يذهب إلى الجهة الجنوبية ليكون داعيًا إلى اللّه واستشار شيخه محمد بن إبراهيم -رحم اللّه الجميع- استشاره في ذلك فأشار عليه وأخبرنا مرة أنه بينما كان في الحرم رأى رؤيا وأذكر أن قوله لنا في ليلة من ليالي رمضان وكان أمامه الطاولة وعليها الأتريك وقال: رأيت النبي ﷺ وأنه قال لي: اذهب إلى هذه الجهة، فقال بيده هكذا من فوق الأتريك (المصباح) أذكرها كأنها الآن والحمد لله فسار إلى جهة صامطة واشترى بضاعة من جازان ووصل إلى صامطة واستأجر دكانًا وجلس ووجد جماعة من الإخوة طلاب العلم كانوا يدرسون على القاضي في ذلك الوقت فكانوا يأتون عنده ويذهبون عند القاضي، وبعد ذلك رجع في آخر عام ثمانية وخمسين رجع إلى أهله وجلس عندهم شهرًا واحدًا ثم اتجه إلى مكة وأخذ كتبًا ورجع إلى جازان وإلى صامطة وأسس عرشًا من القش أسسها وكان معه شيء من المادة في ذلك الوقت فكان يعطي بعض الناس يعني بالمقارضة يبيعون ويشرون فيها ويكتسبون الربح وهكذا مكث على هذا واجتمع الطلاب عنده أكثر ما يكون في أول عام الستين وهو العام الذي تفرغ فيه الشيخ

حافظ للطلب وكثر الطلاب في ذلك الوقت وكان عنده جماعة من طلاب العلم الأولين كان أيضًا يواسيهم ويجعلهم يدرسون الصغار، فهكذا سار على هذا النمط وكان يذهب في ليلة الجمعة مساء يوم الخميس يذهب هو وبعض طلابه إلى الأماكن التي فيها شيء من الشركيات أو ما أشبه ذلك ويدعون إلى اللَّه ويبينون للناس وبعد ذلك يسر اللَّه ﷻ له وتزوج وبقي، وكان يذهب بطلابه أوقات الخصب إلى البلاد التي فيها خصب ويتوزع أهل القرية طلاب العلم ويجلسون مدة ثم بعد ذلك يعود بهم إلى صامطة وهكذا وإذا اجتمع له شيء من النقود يشتري طعامًا ويدخره ثم بعد ذلك في أيام الصيف يجتمع أناس ونساء يطحنون ويخبزون يؤجرهم ويجتمع طلبة العلم ويدرسهم ثم بعد ذلك يرسلهم إلى القرى وهكذا على هذه الصفة فكانت الدعوة لها معارَضة في أول الوقت من بعض رؤساء القبائل وحصل عندهم شيء من هذا القبيل، وكان الواحد من طلاب العلم إذا أنكر المنكر ربما يقومون عليه إما يضربونه أو ما أشبه ذلك بعد ذلك لما تولى الملك سعود بعد مضي حوالي ثلاثة عشر سنة أعطاه ميزانية وأمره بأن يفتح مدارس ففتح مدارس ونفع اللَّه ﷻ بها، فكان من حكمته -رحمه اللَّه تعالى- أن القرية التي فيها المدرسة يجعل الشيخ الذي هو رئيس القبيلة يجعله مراقبًا والباقي إما فراشًا أو هذا يأتي بالماء وهذا كذا يعني يستخدمهم في المدارس فيراعون مصالحهم فكانوا بعد ذلك كلهم عونًا لطالب العلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أجل ذلك فقد انمحت الأعراف والعوائد التي كانوا يعملونها من اللعب

والاختلاط في الختانات أو في الزواج أو ما أشبه ذلك وكانوا على السنة والحمد لله، نفع اللَّه به نفعًا عظيمًا ومما أعتقده أنه ما من أحد في منطقة جازان كلها إلا وللقرعاوي في عنقه منَّة، إما أن يكون طالب علم واستفاد فنفعه اللَّه بالعقيدة الصحيحة وإما أن يكون يسمع من طلاب العلم فينتفع. غفر اللَّه للشيخ عبد اللَّه ورحمه ورفع درجته في عليين.

س٤: أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: هل طلب الدعاء من الميت يعتبر شركًا مع أنه لم يصرف له شيئًا من العبادة؟

ج٤: الدعاء هو العبادة، بل من أعظم العبادات الدعاء: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فإذا قال يا سيدي الحسين أو يا سيدي البدوي أو يا سيدي عبد القادر الجيلاني أو يا سيدي الدسوقي أو يا بن علون أو ما أشبه ذلك أنا في حسبك وأطلب منك كذا وكذا أن تشفي مريضي أو ترد ضالتي أو تبارك لي في زرعي أو ما أشبه ذلك فهذا الدعاء يعتبر هو عبادة لهذا الشخص الذي دعوته واللَّه ﷻ أمرنا بأن ندعوه وأن تكون العبادة له وحده لا شريك له: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

س٥ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل : من المعلوم أن أفضل الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي اللَّه عنهم أجمعين- ، فَلِمَ طُلِب الدعاء من العباس ولم يطلب من أبي بكر وهو أفضل منه وبما أنه أفضل منه فهو أرجى للإجابة واللَّه يحفظكم؟

ج٥ : أما أبو بكر فقد كان توفي في ذلك الوقت وكان أفضل من هم موجودون في ذلك الوقت هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي طلب من العباس أن يدعو وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك إذا أجدبنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك ؛ أي : بدعاء عم نبيك .

س٦ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل : قرأت كتاب شيخ الإسلام في التوسل والوسيلة لكن لم أفهم الرد على حديث الأعمى ولم يكن الرد واضحًا بالنسبة لي ثم إنهم يستدلون أي الصوفية بقصة الرجل أي في عهد عثمان رضي الله عنه فقد فعل في عهده والذي دله على الفعل أحد الصحابة ، وقد صحح سنده شيخ الإسلام؟

س٦ : هذا الحديث سمعتم أن الألباني صححه وأن شيخ الإسلام صححه وأن السهسواني الهندي ضعفه فالقول بصحته معنى ذلك أن التوسل فيه توسل بالدعاء وأن ذلك الأعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو اللَّه له أن يرد إليه بصره فقال له توضأ وصل ركعتين وقل اللهم شفع فيَّ نبيك ﷺ ففعل فكان هو داعيًا والنبي ﷺ داعيًا ومع ذلك فإن هذا ليس فيه دليل على ما يريده أهل البدع من التوسل بالذات أو بالحق أما ما فعله راوي

الحديث وأنه قال لذلك الرجل الذي كان يتردد على عثمان ولم تقض حاجته، قال له افعل كذا، فهذا اجتهاد من هذا الصحابي لم يوافق عليه إن صح عنه، والحق هو أن التوسل بالذات وبالحق أنه لا يجوز وليس لأحد حق على اللَّه ﷻ، ليس لأحد أيضًا أن يدعو بحق فلان، لأن فلانًا إن كان له حقٌّ مما وعده اللَّه ﷻ أي مما وعد اللَّه به أوليائه فإن هذا الحق نافع له وليس لغيره، فاستدلال أهل الباطل بالآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. نعم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لكن ذلك لا ينفعنا نحن المكلفين لا تنفعنا ولايتهم إلا أنا نحبهم لله ﷻ فإذا أحببناهم لله فإذا سألنا اللَّه بحبنا إياهم كان ذلك جائزًا بأن نقول: اللهم أعطني كذا بحبي لنبيك ﷺ اللهم أعطني كذا بحبي لأنبيائك وأوليائك محبة فيك، هذا يجوز، وغيره لا يجوز، أضرب لكم مثلًا بشيء يكون في الآخرة أخبرنا اللَّه ﷻ عنه؛ أخبرنا اللَّه ﷻ أن الناس يقتسمون النور وفيهم المنافقون يعطون نورًا فإذا خرجوا قليلًا انطفأ نور المنافقين، وبقي نور المؤمنين، فيقول المنافقون للمؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ فيقولون لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. وقد جاء في الحديث أن منهم من يكون نوره بين يديه مثل الجبل الكبير ومنهم من يكون نوره بين يديه مثل الجبل المتوسط ومنهم من يكون نوره بين يديه مثل الجبل الصغير، ومنهم من يكون نوره بين يديه مثل النخلة ومنهم من يكون نوره مثل السوط لكن هذا النور لا ينفع الآخرين، مثل النور الذي في عينيك لا ينفع الآخر إذا كان هو أعمى لا ينتفع بنور الآخرين فنوره ينفعه

هو، فكذلك يعني كرامة الصالحين والأولياء والأنبياء والصديقين والشهداء كرامتهم عند اللَّه ﷻ وما أعطاهم اللَّه ﷻ ووعدهم به من الاستجابة لهم، بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]. وما أشبه ذلك هذا كله نافع لهم أنفسهم لا ينفع غيرهم، والدعاء بالحق والذات كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية دعاءٌ بوسيلة غير صالحة للتوسل بها ولذلك نحن لا ينفعنا أن نتوسل إلى اللَّه بحق فلان يعني عنده أو بجاهه عنده، لا النبي ﷺ وإن كان جاهه عند اللَّه عظيم، لكن لا يجوز ولا يشرع أن نتوسل بجاهه ولا بجاه أحد غيره من الأنبياء أبدًا وإنما نتوسل إلى اللَّه بمتابعتهم والسير على هديهم هذا الذي ينبغي أن نتوسل به.

س٧: أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: هناك بعض من يسمون بالتبليغ أو الأحباب أو هذا من الجماعة أو محب للجماعة فما هو الحق في حكم الخروج معهم أو الثناء عليهم أو بالقول بأن عندهم خيرًا يمكن أن نستفيد منه ونترك الخطأ الذي عندهم؟

ج٧: جماعة التبليغ قد أفتى المفتي الأكبر للمملكة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أفتى بعدم الخروج معهم وبأن مذهبهم ومنهجهم غير صالح، وكذلك أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاءت عنه فتوى قديمة بأنه من خرج معهم وأراد إصلاحهم من أهل العلم فإنه يجوز لكن فتواه الأخيرة أفتى بعدم جواز الخروج معهم. ثم أنَّا قرأنا أن من أنكر عليهم ضربوه وواحد أنكر عليهم فضربوه ووضعوه في مكان وأغلقوه عليه إلى اليوم الثاني وكادوا يقتلونه لما أنكر عليهم وكذلك القصة التي ذكرت

أن جماعة منهم خرجوا من المدينة ومعهم واحد من أهل المدينة أو غيرهم، المهم من العرب خرج معهم فلما وصلوا إلى الحناكية عند ذلك قام هذا العربي في الليل فإذا واحد منهم يذكر بذكر الصوفية الذي يقطعون فيه كلمة لا إله إلا اللَّه هو هو لا إله أو ما أشبه ذلك ويقطعون الذكر هكذا فأنكر عليهم، وفي الصباح كلم رئيسهم وأخبره بذلك، فقال له وأنت وهابي كتب ابن القيم وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب لو أن الأمر لي لأحرقتها جميعًا، ففارقهم من حينه[١].

هنا كلام أريد أن أضيفه عن جماعة التبليغ، الحقيقة أنَّا من فضل اللَّه ﷻ أني كتبت عنهم في المورد العذب الزلال وأرجو أن تلك الكتابة ينفع اللَّه بها ومن ذلك أنهم يقطعون لا إله إلا اللَّه فيقولون: لا إله، لا إله، لا إله، لا إله، هذا نفي يكررونه أربعمائة مرة بعد ذلك يقولون إلا اللَّه يكررونه أربعمائة مرة أو مائتي مرة أو خمسمائة مرة لكن يقول الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ، الشيخ حمود من أصحاب الغيرة على السنة، وعلى الإسلام يقول أن العلماء مجمعون أنَّ من قطع النفي عن الإثبات فإن ذلك يكون كفرًا حتى ولو كان مرة أو مرتين، كيف إذا قطع النفي عن الإثبات وأتى به أربعمائة مرة يقول لا إله، لا إله يعني إذن ما فيه إله، معنى ذلك ما فيه إله فهل ينفع الإثبات بعد النفي؟ لا ينفع، فهذا من أعظم القوادح فيهم، ومع ذلك فهم يستعملون الذكر بالجوشن وحرز الجوشن

(١) ذكر الشيخ صالح السحيمي وكان معنا في المحاضرة أن الرجل موجود بالمدينة وما زال حيًّا يرزق واسمه ناجع العجمي.

وما أشبه ذلك ويجيزون حمل الحروز وهم مشركون والعياذ باللَّه، والمؤسس كان يجلس عند قبر عبد القدوس الكنكوهي وكان يلتمس منهم من الكنكوهي وأمثاله من أصحاب وحدة الوجود يلتمس منهم الفيوضات.

س٨: أثابكم اللَّه يقول السائل: نسمع من يقول أنَّ من أنواع التوحيد توحيد الحاكمية فما هو الحق في ذلك؟

ج٨: توحيد الحاكمية هو نوع من التوحيد، ولكن تجد أن أصحاب الحزبيات يتكلمون فيه فقط، ويرون أنَّ التوحيد إنَّما يكون في الحاكمية؛ أمَّا شرك القبور والخرافات فإنَّه لاينافي التوحيد ولا يلزم الكلام فيه لِمَ؟ لأن أئمتهم سكتوا عنه، فيقولون ما فيه داعي ما في عندنا قبور حتى نتكلم فيها، فهم يقولون الشرك المحرم شرك الحاكمية فقط، ويخصصون الشرك به، ولا شك أنَّ الحاكمية يجب أن تكون لله ﷻ واللَّه هو الذي خلق العباد وهو الذي رزقهم وهو الذي يحكم فيهم، يحكم في أبشارهم ويحكم في دمائهم ويحكم في أنفسهم ويحكم في فروجهم ويحكم في أموالهم بحكمه سبحانه وتعالى، أما غيره فلا يجوز أن يحكم أحد من المخلوقين في أبشار الناس أو دمائهم أو إزهاق أرواحهم أو أخذ أموالهم أو استحلال فروجهم لا، هذا لا يجوز أبدًا والحكم لله ﷻ في أولئك، كذلك أيضًا لا يجوز أن نتطوف بالقبور ولا يجوز أن ندعو أصحابها ولا يجوز أن نلتمس منهم قضاء الحاجات ولا تفريج الكربات، ولا تجوز دعوتهم لأي شيء من الأمور التي لا يقدر عليها إلا اللَّه هذا كله شرك باللَّه ﷻ إن فعلناه وشرك الحاكمية واحد من أنواع الشرك.

س٩ : أثابكم اللَّه سائل يقول : ينقل بعض المؤلفين في التوسل كلامًا للإمام محمد بن عبد الوهاب في بعض رسائله قال فيه بأن التوسل من المسائل الفرعية فما صحة هذا النقل وإن صح فماذا يجيب القائلون بمنع التوسل؟

ج٩ : ما أعتقد أنَّ محمد بن عبد الوهاب يقول أنَّ التوسل من الأمور الفرعية لا ، هذا قاله أصحاب الحزبيات ناقلين ذلك عن حسن البنا وأمثاله هؤلاء قالوا أنَّ التوسل من الأمور الفرعية ولكن التوسل ليس من الأمور الفرعية إنما هو من الأمور الاعتقادية وهو ذريعة من أعظم الذرائع إلى الشرك باللَّه فلا يجوز أبدًا ولا يقوله محمد بن عبد الوهاب الذي عاش عمره الطويل وهو مجاهد في التوحيد وفي نشر التوحيد، هذا كذب على الشيخ محمد بن عبد الوهاب . علمًا بأن السؤال فيه شيء من الإجمال وقد قسمنا التوسل إلى أربعة ثلاثة جائزة وواحد ممنوع وهو التوسل بالذوات هو من أعظم الذرائع إلى الشرك، ولهذا فإن الذين يستبيحونه سرعان ما ينتقلون إلى دعوة من توسلوا بذاته .

س١٠ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل : ما هي السبل التي يكون فيها العبد أو بها العبد مستجاب الدعوة؟

ج١٠ : النبي ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص : «**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»[1] فطيب المطعم والصلاح والاستقامة والبعد عن

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٤٩٥) من حديث ابن عباس ﭭ، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٨١٢) : ضعيف جدًّا .

المعاصي، هذا من أسباب إجابة الدعوة.

س١١: أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: كيف يبدأ الإنسان في طلب العلم الشرعي؟

ج١١: يبدأ بطلب العلم بأن يقرأ القرآن يأخذ الكتب المختصرة كالثلاثة الأصول والقواعد الأربع وما أشبه ذلك، وهكذا أيضًا يبدأ بالأربعين النووية في الحديث ثم عمدة الأحكام ثم بلوغ المرام وهكذا يتدرج أيضًا في القواعد، يتدرج أيضًا في الصرف يتدرج أيضًا في البلاغة يتدرج أيضًا في أصول الفقه يتدرج أيضًا في المصطلح وهكذا يبدأ بالمختصرات ثم ما فوقها وهكذا.

س١٢: بارك اللَّه فيكم سائل يقول: هل الدعاء بعد الصلاة المكتوبة بدعة أم لا أفيدونا بارك اللَّه فيكم؟

ج١٢: الدعاء بعد الصلوات المكتوبة مباشرة هذا خلاف السنة بل السنة عمل الذكر بعد السلام من الصلاة وأذكر ممن نص على كراهته النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم وينبغي للإنسان أولًا أن يبدأ بالذكر الوارد وهو الاستغفار بعد السلام ثم قول: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يقول: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات أو خمس مرات ثم بعد ذلك يسبح اللَّه ثلاثًا وثلاثين ويحمده ثلاثًا وثلاثين ويكبره ثلاثًا وثلاثين ويقول تمام المائة لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له،

له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، إذا فعل ذلك بعد ذلك إذا أراد أن يدعو فلا بأس.

س١٣ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: أنا طالب في كلية الشريعة ونشكو من تقلب في النية في دخول هذه الكلية فكثيرًا ما يقال لنا أنتم دخلتم هذه الكلية للوظيفة ومن طلب الدنيا بعمل الآخرة خسر الدنيا والآخرة، فمن المعلوم أن طلب العلم عمل من أعمال الآخرة فكيف الخلاص من ذلك؟

ج١٣ : لا شك أن طلب العلم عملٌ من أعمال الآخرة، وأنه يجب الإخلاص فيه إذا وجد الإنسان في نفسه شيئًا من ذلك فليقل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم إنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، يدعو بهذا الدعاء ويكرره، كذلك أيضًا يقول: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي، وكذلك أيضًا يقول: اللهم فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي إثمًا أو أجره إلى مسلم وهكذا الدعوات هذه إذا دعا بها الإنسان حتى ولو كانت نيته مدخولة إن شاء اللَّه ربنا يخلصها ويجعلها صالحة.

س١٤ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: ما حكم قول:

كتبت لك البقاء فدمت حيًّا
قديرًا مالكًا والكل فاني

ج١٤ : سبحان اللَّه العظيم هذا الكلام، كلام باطل كتبت لك البقاء، اللَّه ﷻ هو الباقي، هو الأول الذي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، اللَّه ﷻ هو أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]. وقد جاء في الأحاديث عن النبي ﷺ أن اللَّه ﷻ يأمر إسرافيل وأنه ينفخ في الصور وأنه يموت من تلك النفخة، يموت منها كل الموجودين على هذا الكون في السموات أو في الأرض، كلهم يموتون ولا يبقى إلا اللَّه ﷻ وأنه حينئذٍ يطوي السموات بيمينه ويطوي الأرضين بيده الأخرى أو قال بشماله، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أين الجبارون، أين المتكبرون، لمن الملك اليوم، فلا يجيبه أحد، لمن الملك اليوم، فلا يجيبه أحد، لمن الملك اليوم، فلا يجيبه أحد ثم يجيب نفسه لله الواحد القهار. هذا ثابت عن النبي ﷺ، وهو من الأمور التي يعتقدها المسلمون علماؤهم وعوامهم جميعًا لأنها مما ورد في الشريعة ورودًا مستفيضًا واللَّه ﷻ يقول عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]. إذن فلا يجوز لأحدٍ أن يقول مثل هذا الكلام، وصاحبه الذي قاله مخطئ خطأً فاحشًا ومثل هذا ينبغي أن يكمم فمه وأن يمنع من الكلام.

س١٥ : بارك اللَّه فيكم يقول السائل: ما حكم الاستغاثة بالقلب والدم كقول: يا دم ويا قلب أسعفني وما حكم تأويل هذا بأنه من البلاغة وليس من الاستغاثة بغير اللَّه أفيدونا جزاكم اللَّه خيرًا؟

ج١٥ : هذا من الاستغاثة، عندما يقول: يا دم أسعفني ويا قلب أسعفني هذا لا شك أنه من الاستغاثة، ولم يستعن صاحبه باللَّه، وإنما استعان بدمه أو بقلبه والنبي ﷺ أرشدنا أنَّا نفزع إلى اللَّه ﷻ في إصلاح أحوالنا وقلوبنا، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وكذلك لو قال اللهم إني أبرأ إليك من حول نفسي وقوتها إلى حولك وقوتك اللهم أعني على كذا وارزقني الإخلاص فيه. هذا كله طيب ومن توحيد اللَّه، وتبيَّن بهذا أنَّ استغاثة هذا الشخص بدمه وقلبه شركٌ باللَّه تعالى.

س١٦ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: هل يجوز الدعاء عند القبور؟ وهل من يدعو عند قبر الرسول ﷺ عمله مشروع وما الدليل على ذلك؟

ج١٦ : الدعاء عند القبور بزعم أنه مستجاب عند قبر فلان هذا بدعة اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. ما قال ادعوني عند قبر فلان ولا عند مشهد فلان ولا عند ضريح فلان، اللَّه سبحانه وتعالى حاضرٌ معنا كما يقول النبي ﷺ لما كان مع أصحابه وكانوا يلهجون بالذكر والدعاء فقال لهم: ارْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا بصيرًا هو أقرب إليكم من أعناق رواحلكم[1]. واللَّه سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد فقال جل من قائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [قٓ: ١٦]. كيف تتركه وتذهب إلى غيره ممن لا يسمع وإذا سمع فإنه لا يستجيب بمعنى أنه لا يقدر على إجابتك وإعطائك ما تطلبه بل إن اللَّه ﷻ هو الغني وهو القادر الذي يفعل ما يشاء ويخلق ما يريد فاسأله ﷻ يعطيك ما تطلبه لأنه واجدٌ لا يعدم وكريم لا يبخل ﷻ كيف تذهب إلى المخلوقين الذين هم فقراء، وإن وجدوا فإنَّهم يبخلون ولهذا قال القائل:

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا

إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

كيف تترك ربك ﷻ، الذي يأمرك بالدعاء ووعدك الإجابة وأنت تتركه وتذهب إلى مخلوق ضعيف هو بحاجة إلى أن تدعو له فهل يجوز لك أن تدعوه؟ الجواب: لا.

س١٧: بارك اللَّه فيكم يقول السائل: ما حكم الحلف بحياة اللَّه سبحانه كقوله وحياة اللَّه أو حياة ربي؟

ج١٧: هذا جائز لأن حياة اللَّه ﷻ صفة من صفاته ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

س١٨: أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: هل هناك فرق بين التوسل بالاسم أو الصفة أو دعاء الاسم أو الصفة، مثل من يقول: يا وجه اللَّه

أفيدونا جزاكم اللَّه خيرًا؟

ج١٨ : ينبغي أن يقول أسألك بوجهك الكريم، ما يقول يا وجه اللَّه، يقول أسألك بوجهك الكريم، أسألك بصفاتك العلا وبأسمائك الحسنى إلا أعطيتني كذا وكذا، ومن قول النبي ﷺ: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلَّا بك**»(١).

س١٩ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: وهل يكره أن يطلب الإنسان من أخيه الدعاء له قياسًا على الرقية؟

ج١٩ : طلب الدعاء يجوز ممن تظن أنَّ دعوته مستجابة عند اللَّه ﷻ.

س٢٠ : أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: كثير من الشباب تجده يقول لأخيه لا تنسانا من صالح دعائك بصفة تكاد مستمرة، فقد قرأت لبعض أهل العلم كراهة الإكثار من ذلك، فما تقولون حفظكم الله؟

ج٢٠ : أقول هذا جائز وقد قال النبي ﷺ لعمر حين ذهب إلى مكة ليعتمر ويؤدي النذر الذي أخبر النبي ﷺ أنه نذره في الجاهلية، قال له النبي ﷺ: «**لا تنسانا يا أخي من دعائك**»(٢) فإذا قلت لأخيك أوصيك بالدعاء وهو مني مبذول لك هذا من تبادل الدعاء، أنا أدعو لك وأنت أدع

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧٨).

لي، ودعوة الإنسان بظهر الغيب لأخيه مستجابة.

س٢١: أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: متى يكون التوسل الممنوع شركًا أكبر ومتى يكون شركًا أصغر؟

ج٢١: التوسل بحق المتوسل به وبجاهه هذا بدعة ومن زعم أن دعاء اللَّه ﷻ عند قبر فلان مستجاب هذا يعتبر بدعة أيضًا. لكن إن دعا ذات المتوسل به فهذا شرك أكبر.

س٢٢: بارك اللَّه فيكم يقول: هل كل من وقع في بدعة فهو مبتدع ومتى يحكم على الشخص بأنه مبتدع؟

ج٢٢: من وقع في بدعة من البدع متفق عليها ومعروف بأنها بدعة، يجب أن ينصح وتكرر عليه النصيحة ولا ينبغي أن نسارع بالحكم عليه بالبدعة لأن هذا خطأ فإنا إذا فعلنا ذلك نكاد أن يسقط بعضنا بعضًا ويكون أصحاب المنهج السلفي مع قلتهم يتساقطون واحدًا بعد واحد بل الذي ينبغي إذا حصل من إنسان شيء من ذلك يجب أن نستأني به وألا نتسرع بالحكم عليه والتحذير منه والأمر بهجره بل نكرر عليه النصيحة من عدة أشخاص ثم بعد ذلك إذا أصر وأبى عند ذلك نقول ترون فلان مبتدع، احذروه، أما أن نتسرع ونحكم عليه بالبدعة فهذا لا ينبغي وليس هذا في صالح الدعوة السلفية بل يجب التأني وعدم التسرع في ذلك.

س٢٣: أحسن اللَّه إليكم يقول السائل: هل يصح حديث مراجعة المرأة لعمر رضي الله عنه، وقوله أخطأ رجلٌ وأصابت امرأة؟

ج٢٣: واللَّه هذا مشهور وأنا ما تتبعته.

س٢٤: بارك اللَّه فيكم يقول هل إذا أكثرت السجود لله ﷻ وسألته مرافقة النبي ﷺ، يتحقق لي ذلك كما فعل الصحابي أو هذا خاص بذلك الصحابي وفقكم الله؟

ج٢٤: إن مرافقة النبي ﷺ في الجنة أمر ليس بالهين، فالنبي ﷺ قد صحَّ أنه له الدرجة العليا في الجنة وهي الوسيلة التي قال النبي ﷺ عنها: «**إن في الجنة درجة يقال لها الوسيلة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد فإذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم قولوا اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته**»(١) فعندما يكون الإنسان يرجو أنه يكون مع النبي ﷺ في درجته هذا بعيد ولكن يسأل اللَّه أن يرزقه جنة الفردوس ونرجو جميعًا إذا سألنا اللَّه -جلَّ وعلا- ذلك أن ينفعنا هذا الدعاء وأن يستجيب اللَّه دعاءنا.

س٢٥: هذا السائل يقول، وأكثر من أرسل من الأسئلة يقولون: يا شيخ إنا نحبك في اللَّه ونريد أن نطلب العلم على يديك فما السبيل إلى ذلك؟

ج٢٥: أقول من قال إني أحبك في اللَّه فأنا أبادله بقولي أحبك اللَّه

(١) أخرجه البخاري (٦١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الذي أحببتني من أجله وأسأل اللَّه أن يجمعني وإياك في دار كرامته وأما طلب العلم فلست الوحيد الذي عنده علمٌ، والعلم عند غيري أكثر مني والذي أحثكم عليه وأدعوكم إليه التتلمذ على أهل السنة الذين عرفوا السنة وعرفوا بالاستقامة عليها والدعوة إليها اطلبوا العلم على أيديهم فهم والحمد لله في المملكة كثير وإن كان هناك أناس كثير فتنوا بالحزبيات فنسأل اللَّه أن يصلح الأحوال والذي أنصحكم به وأوجهكم إليه أن تطلبوا العلم على أهل الاستقامة على المنهج السلفي حتى وإن كان عنده علمٌ قليل اطلبوا العلم عليه ولعل اللَّه ﷻ أن يبارك في ذلك. فيا أيها الإخوة الذي أنصحكم به البعد عن الحزبيات والهجر لها ولأصحابها، أنصحكم بالاستقامة على الحق، وعلى السنة، وعلى ما أمرنا اللَّه به وأمرنا به رسوله ﷺ، فاللَّه أمرنا بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر، والنبي ﷺ أمرنا بالوفاء بالعهود التي عاهدنا عليها ولاة أمورنا فيجب علينا أن نفي لهم بذلك وهذا الذي أوصى به رسول اللَّه ﷺ، وحذر من تركه فيجب على المسلمين الوفاء لولاة أمورهم وألا يسمعوا إلى من تكلم فيهم أو قدح فيهم أو قدح في العلماء السلفيين فأولئك أهل الفتنة الذين يتكلمون في ولاة الأمر في السر ويتزلفون وينافقون لهم في العلانية وهؤلاء أخذوا صفة المنافقين ونسأل اللَّه العفو والعافية، أحذركم من هذا المنهج المنحرف المعوج أحذركم منه، أحذركم من هذه الطريقة الشنيعة الفظيعة وهو ذم ولاة الأمور في السر وتبييت الخروج عليهم والتحريض عليهم هذا لا يجوز يا إخوة، اللَّه سبحانه وتعالى

حذرنا من مثل هذا وحذرنا رسوله ﷺ، الرسول -صلوات اللَّه وسلامه عليه- حذرنا من الخروج وقال: « **لا ما أقاموا فيكم الصلاة**»[١] «**لا ما صلوا**»، وقال النبي ﷺ كما في حديث ابن عباس: «**من رأى من أميره شيئًا فليصبر عليه فإنه من خرج من السلطان شبرًا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»[٢]، وفي حديث عبد اللَّه بن عمر أيضًا حينما جاء ينصح عبد اللَّه ابن مطيع وقال له: «ما جئت لأجلس وإنما جئت لأخبرك بكلام سمعته من رسول اللَّه ﷺ، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من مات وليس في عنقه بيعة لقي اللَّه ولا حجة له**»[٣]، وفي الحديث الآخر: «**من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية**»[٤].

فاتقوا اللَّه يا عباد اللَّه احذروا من هؤلاء أصحاب الفتنة الذين يدعون إلى الفتنة، يدعون إلى الخروج على الولاة يدعون إلى الذي يكون فيه مضرة على المجتمع الإسلامي، نحن الآن في نعمة قل من الناس من حصل عليها، والناس يغبطوننا والحمد لله على هذه النعمة فيجب علينا أن نشكر اللَّه عليها وأن نكون ضد هؤلاء الفتانين الذين يريدون أن يسعوا في مضرة الأمة وفي مضرة المجتمع يسعون في الباطل يريدون وقوعه وهم حريصون كل الحرص بل من الناس الذين ربما يكونون متزلفين ومتقربين

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٧٠٥٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).
(٤) التخريج السابق نفسه.

إلى ولاة الأمر عندما يكونون عندهم ويكونون إذا خرجوا عنهم كما قال اللَّه ﷻ: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾ [آل عمران: ١١٩]. نسأل اللَّه العفو والعافية، هذه صفة شنيعة وقبيحة وفظيعة يجب أن نحذرها وأوصيكم ونفسي بتقوى اللَّه ﷻ والمحافظة على طاعة اللَّه وطاعة رسوله ﷺ ومن ذلك المحافظة على الوفاء لولاة الأمر بما عاهدناهم عليه، نسأل اللَّه أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه

أحمد بن يحيى محمد شبير النجمي

١٤٢٥/٣/٢٣هـ

الفهرس

الأسئلة

❊ ❊ ❊